شيخي الجليل محمد أمين سراج

بقلم تلميذه الأستاذ الدكتور/خليل إبراهيم قوتلاي

ولد في في قرية (طانوبا) من قرى محافظة (أربعة) التابعة لولاية (طوقات) شرقي تركيا في أول يوم من شهر رمضان المبارك عام 1348هـ/1929م، وأكمل حفظه للقرآن الكريم وهو ابن تسع سنوات، وكان أولُ شيخ له والدَه العزيز الشيخ مصطفى بن أسعد سراج الذي ربَّاه تربية إسلامية، ووكان لأمه أيضًا دور كبير في حفظه للقرآن الكريم. وكان والده قد أوذي في تعليم كتاب الله الكريم في الليالي سرًّا في الأربعينيات في تركيا، حيث كانت قراءة كتاب الله الكريم ممنوعة منعًا باتًّا. ثم أرسله والده في عام 1943م إلى إسطنبول لمواصلة دراسته لدى الشيخ على حيدر أفندي وغيره من العلماء، وكان عمره أربع عشرة سنة. وفي عام 1950م يوم أن كان عمره واحدة وعشرين سنة، فقد هاجر إلى مصر لمواصلة دراسته الشرعية بأمر وتوصية من شيخه الجليل على حيدر أفندي، وقد التحق بجامعة الأزهر، حيث درس على لدى نخبة من المشايخ الأزهريين، أصحاب الفضيلة عبد الوهاب بُحَيْرِي، وأحمد فهمي أبو سُنَّة، وحسنين محمد مخلوف، ومحمود شَلْتُوت، وعبد الوهاب عبداللطيف، كما التقى خارج الجامعة بشيخ الإسلام مصطفى صبري، ووكيله الإمام محمد زاهد الكوثري الذي أجازه إجازة خاصة. ورجع إلى إسطنبول بعد أن أقام بمصر ثماني سنوات. وكان ممن أجازه من الشيوخ الأفاضل: عبد الفتاح أبوغُدَّة الحلبي، وأبو الحسن علي الندوي الهندي وعبد الرزاق الحلبي. وكان له صلة وثيقة بجميع الجماعات الإسلامية المعتدلة في تركيا وخارجها، مما جعل له ذلك أحبابًا كثيرين.وكان شيخنا الفاضل من "العلماء المدرسين" الذين أفنوا حياتهم في التدريس والتربية والتوجيه، حيث لم يكن له من التأليف إلا ترجمة كتاب "في ظلال القرآن" للشهيد سيد قطب رحمه الله مع بعض زملائه. وكان شيخنا الفاضل له جدول دراسي لم يتغير طوال حياته، يتكوَّن من دروس إشراقية ومسائية، فالدروس الإشراقية في يومي الجمعة والأحد كانت تبدأ بعد شروق الشمس وتستمر لمدة ساعة والنصف تقريبًا، والدورس المسائية كانت فيما بين الثامنة والعاشرة ليلا من الاثنين إلى الجمعة. ومع أن شيخنا الجليل خريج كلية الشريعة في جامعة الأزهر ثم التخصص في القضاء، فلم يكتف بتدريس كتب الفقة والأصول فقط، وإنما اهتم بتدريس الكتب الستة وغيرها من المصادر الحديثية أيضًا، وكان مما عُني به من الكتب القديمة كتاب الشفاء للقاضي عياض، وقد قام بتدريسه مباشرة أو بالإشراف على تدريسه عشر مرات، وكان ذلك في صباح كل يوم أحد، حيث إنني كنت قد أكملت تدريس كتاب الشفاء من أوله إلى آخره تحت إشرافه القيم وتعليقاته الكريمة في محفل المؤذنين، جزاه الله عنا خير الجزاء. وقد قام بتدريس التفاسير القديمة مثل الكشاف للزمخشري وتفسير البيضاوي وتفسير ابن كثير وتفسير النسفي، وتفسير الجلالين وتدريس كتب الفقه القديمة مثل اللباب للميداني والاختيار للموصلي والهداية للمرغيناني ومراقي الفلاح للشرنبلالي، وقام باتدريس مؤلفات شيخنا محمد علي الصابوني مثل تفسير آيات الأحكام، وصفوة التفاسير، ومؤلفات شيخنا عبد الفتاح أبو غدة في علوم الحديث، وغيرها من الكتب. وقد قام شيخنا بتدريس العلوم الإسلامية في جامع السلطان محمد الفاتح لمدة ستين سنة بدون انقطاع من عام 1958م إلى عام 2018م حيث درس لديه أكثر من ألفي وخمسمائة طالب جامعي، وتلَامِذَته الأبرار الأوفياء يشغلون الآن مناصب ذات منزلة عالية علمية أو تعليمية أو دعوية أو إرشادية أو سياسية في أنحاء تركيا. ولم يؤلّف شيخنا كتباً تقرأ، ولكنه ربّى رجالاً ملأوا ساحات المجتمع علماً وخيراً وبرّاً، وكان وقورًا هيوبًا مع الناس، حليمًا كريمًا مع طلبته. وكان يرى إجازة حفظ القرآن الكريم أفضل من الشهادات الجامعية. ولم يدرس من النساء إلا زوجة ابنه فأجاز لها، إلا أنه كان يشجع الطالبات الشرعيات وحافظات كتاب الله على العلم ويعتبرهن "مجاهدات" في العلم، ولو رأي "المدرسة الكوثرية" التى نسبت لشيخه الكوثري لكان سعيدًا جدًّا. وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان تقيًّا خفيًا يعمل في صمت، ولا يحب الشهرة أو الظهور في وسائل الإعلام، وكان يبذل قصارى جهده للتدريس. وكان يذكر في دروسه مناقب صحيحة عن السلف الصالح، وذكريات علمية تاريخية مهمة عن المشايخ الذين صاحبهم، وكان يردِّد دائمًا قولَ سفيان بن عيينة رحمه الله: "عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة." وكان لشيخنا الجليل اهتمام شديد بقضايا العالم الاسلامي، وكان له اهتمام خاص بالقضية الفلسطينية، ويعتبرها قضية الأمة الأساسية ويدعو الله للمجاهدين الفلسطينيين بصورة مستمرة ويساعدهم، كما كان له عناية كبيرة بالقضية السورية، وقضية تركستان الشرقية. وكان لشيخنا العزيز توجيهات كريمة للعاملين في السياسة والحكم، عندما زاروه في الجامع وفي بيته، وكان يخاطبهم في ضوء القرآن والسنة، مع أنه كان يرفض رفضًا شديدًا للدخول في السياسة الراهنة وكان يشجِّع على الخير كلَّما وجد عند السياسيين ما فيه خير للإسلام والمسلمين وينتقدهم بانتقادات معتدلة مفيدة كلَّما وجد عندهم ما فيه مخالفة للكتاب والسنة. وبعد حياة عامرة بالعلم والعرفان والتدريس والتوجيه والإرشاد، فقد توفي شيخنا يوم الجمعة 7 رجب 1442 الموافق 19 شباط لعام 2021م، عن عمر ناهز الواحدة والتسعين. ودفن في ظل مئذنة جامع السلطان محمد الفاتح، علما بأن دروسه في جامع السلطان محمد الفاتح لن تنتهي بعون الله، حيث إن تلامذته، وفيهم كاتب هذه السطور، ما يزالون يواصلون تدريس "صحيح البخاري" صباح كل جمعة، وتدريس "الشفاء للقاضي عياض" صباح كل أحد، ويعلمون جيدًا أنهم لا يستطيعون سد الفراغ الملموس برحيل شيخهم المغفور له، قوّاهم الله وحفظهم الله من كل مكروه، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع طلبته، اللهم آمين.